«أضاحي» هانيبال سروجي: هايكو بريشة صوفية

حسين بن حمزة

المتأمل في لوحات هانيبال سروجي الـ 17 المعروضة في غاليري « جانين ربيز» تحت عنوان Offrandes (أضاحي)، يخطر له أن لا شيء يحدث فيها تقريباً. إذ لا يُرى سوى بقلات أزهار منثورة بأشكال مختلفة على سطح كل اللوحات. تكرار الشكل نفسه يُحسّس المشاهد بأنّه أمام لوحة واحدة. ثم يكتشف أنّ هذا الإحساس هو أحد طموحات الرسام الذي يسعى إلى وضعنا في حالة مشوّشة تتضارب مع استعداداتنا الأولية والبديهية. في البداية، نفكر في أنّ ثمة شيئاً في اللوحات يطردنا ولا يسهّل علينا التحاور معها. كأنها تُدير ظهرها لنا. نقول لأنفسنا إن ما نراه صامتٌ ومكتوم زيادة عن اللزوم. لقد تعودنا أن تثرثر اللوحات معنا ما إن ندلف إلى أي معرض. لماذا يضعنا هانيبال سروجي في هذه الحيرة؟ السؤال يُمَسّكنا طرف الخيط الذي سيقودنا إلى معاينة فلسفة شخصية تتوارى خلف ما نشاهده. لا ننسى هنا أنّ هذا الرسام اللبناني المقيم في باريس هو صاحب أفكار وأطروحات إلى جانب كونه ملوّناً. إنه يقترح علينا لوحة متقشفة. ثمّة زهد بالألوان، فلا نجد مدوّنة لونية صاخبة وهادرة. وثمة زهد في عناصر ومكونات اللوحة أيضاً، إذْ تكتفي ببتلات أزهار فقط. لعل المقصود هو أن نتناسى ما اعتدنا توقّعه من الرسم كممارسة محض لونية، وأن نفكر في تأويلات أخرى. التصوّف ليس مستبعداً هنا، إن لم يكن في قلب الأطروحة التي يتبنّاها سروجي. التصوف يحضر هنا من دون شحنته الدينية التقليدية. إنه يتسرّب إلى جوّ اللوحات، فيُقشفها ويكتمُ أيّ ضجة لونيّة أو استرسال غنائي قد يصدر عنها. تأويل كهذا يخفّف من حيرتنا، ويسهّل علينا الولوج إلى الأعمال وملاقاة صاحبها في منتصف الطريق. لن نكون مخطئين إذا سمينا ما نراه: صوفية تجريدية. تسمية كهذه . تمزج الصوفية كممارسة مشرقية مع التجريد كخيار فني انطلق في الغرب . لا بدّ أن تنشأ لأطروحة سروجي صلات مع حداثة تشكيلية غربية. هذا أمر طبيعي بالنسبة إلى رسام ربّى نبرته التشكيلية في قلب الحداثة الغربية، فهو درس الرسم في فرنسا وكندا، وعرض أعماله في أوروبا وأميركا قبل عرضها في بلده الأم. القصد أنّ هذه التربية تتدخل في تظهير التجربة الروحية والتقنية التي يُكابدها الرسام في عمله. المطلوب منّا أن نرى كل هذه التفاصيل، المرئية منها والمحجوبة. أن نشاهد اللوحات ونفكر في خلاصاتها الفلسفية والذاتية في آن واحد. في تلك اللحظة، يمكننا أن نتخيل أننا نقرأ قصائد هايكو يابانية، حيث المطلوب إنجاز الاستعارة الشعرية بضربة لغوية وأسلوبية واحدة. الفارق هنا أنّ الضربة مصنوعة بريشة رسام.

> زهد بالألوان وبعناصر اللوحة ومكوناتها

«بتلات ـ 9» (أكريليك على قماش ـ 122 × 102 سنتم، 2008)

حتّى 7 شباط (فبراير) المقبل. غاليري «جانين ربيز» (الروشة). للاستعلام: 01/868290